المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا شك أنَّ الفكر الفلسفيَّ الإسلاميَّ نشأ منذ بدء الإسلام نفسه، وأنَّ أصالة الفكر الفلسفيِّ الإسلاميِّ وأساسَهُ كان الوحيُ نفسُهُ، أي: ما أتى به القرآن الكريمُ بكلِّ ما فيه من عقيدة (إلهيات)، وشريعة، وأخلاق، وعلوم كونية، وإنسانية. فالعلوم الإسلاميةُ التي نزل بها الوحيُ؛ والمُستمَدَّةُ من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، كانت مصدراً للفلسفة الإسلامية بكلِّ اتجاهاتها: الروحية، والعقلية، والواقعية.

لقد اختلف العلماء والمفكِّرون اختلافاً شديداً في شأن الفلسفة الإسلامية؛ فمنهم مَن أنكر وجودَ فلسفة عربية إسلامية، بحُجَّة أنَّ العرب المسلمين لم يُقيموا بناءً فلسفياً خاصّاً، ولم يَهتمُّوا إلاَّ بالتعليق على كتب الفلاسفة، ولم يَصرفوا جهودَهم إلاَّ إلى التوفيق بين آراء الفلاسفة، أو التوفيق بين الفلسفة والدين الإسلامي، وبحُجَّة أن أكثر مَن اهتمَّ بالفلسفة كان أجنبياً؛ بعيداً عن الصِّبغة العربية، بعيداً عن الأصالة العربية. ولم يكن له من العروبة إلاَّ اللغةُ العربيةُ: التي استعملَها أداةَ تعبير لا غير.

وقد حاول الغربيون منذ زمن بعيد اتِّهامَ الشرقيين (العرب المسلمين) بأنَّهم بطبيعتهم أقلُّ من الغربيين في جميع ميادين الحضارة حتى في الفكر الفلسفيِّ، وقد تأثَّر بهذه الفكرة بعضُ مؤرِّخي الفلسفة العربية الإسلامية، فقالوا: بأنَّ الفلسفة العربية الإسلاميةَ ليست إلاَّ مجردَ تقليد، أو ترجمة للفلسفة اليونانية، أي: أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفةٌ يونانيةٌ كُتبت بلغة عربيةٍ. ولكن منَ الخير أن نُنصف دائماً كلَّ صاحب حقٍّ؛ وذلك: بأنْ نُبيِّنَ في هذا الكتاب: «التفكير الفلسفي الإسلامي» أَصالةَ الفلسفة الإسلامية فيما لها من أصالة، وأن نَرُدَّ لكل ذي حقٍّ حقَّه؛ ليعرف كلُّ مُنصف: أنَّ الفلاسفةَ المسلمين لم يُقلِّدوا، بل أبدعوا، وبحثوا، وكتبوا في الفلسفة، وفي كل العلومِ الأخرى، وهذا ما نجده عند كلٍّ من: «الكندي»، و«الفارابي»، و«ابن سينا»، و«الغزالي» و«ابن رشد» و«ابن خلدون» وغيرهم.

فالتفكير الفلسفي الإسلاميُّ في حياة المسلمين يُمثِّلُ ثمرةً من ثَمَرات نُضْجهم العقليِّ، وخاصةً بعد الفتوحات الإسلامية؛ حيث نَشَطَت العقولُ، وشُحذت الهمم، فأقبلت على النظر فيما عندهم من العلوم الإسلامية المُستمَدَّة من أُصولها القرآنية والتشريعية وفيما عند غيرها من ألوان الحضارة: (اليونانية، والفارسية، والهندية...)، ولتضيف إلى حضارة العرب المسلمين علومَ الأمم المجاورة وثقافاتهم، فنَشَطت حركةُ النقل والترجمة لدراسة هذه العلوم والفلسفات وبحثها، وخاصّةً ما يُفيدُ العربَ المسلمين من علوم لم تُوجَد عندَهم، كـ: المنطق، والرياضيات، والكيمياء، والطبيعيات؛ التي استفادوا منها في علومهم الأخرى، كـ: الفقه وأُصُوله، والنحو... وغير ذلك.

وهناك من العلماء والمفكِّرين مَن قال: بوجود فلسفة عربية إسلامية صحيحة، بحُجّة أنَّ الفلسفة لا تقوم إلاَّ على تراث الأقدمين؛ لأنَّ مَن لا قديمَ له لا جديدَ له، وأنَّ الشرف والنُّبْلَ يَرجعان إلى عَراقَة الأصل. فالأمة التي لا ماضيَ لها ليس لها حاضرٌ ولا مستقبلٌ، وإنَّ الفلسفة الإسلامية ذاتُ أصالة. وإنَّ أصالتها مُستمدَّةٌ من القرآن الكريم؛ الذي يَحُضُّ على النظر العقليِّ، والتأمُّل الفكريِّ في معظم سُوَره وآياته. وإن القضايا الفلسفيةَ التي يبحثها الفلاسفة قديماً وحديثاً هي نفسها الواردةُ في القرآن الكريم. وخاصةً: فيما يتعلَّق بالإلهيات، والميتافيزيقا، والطبيعيات؛ كالنظر في الكون وكلِّ المخلوقات، ودراستها، والنفس الإنسانية، وهل الإنسانُ مُسيَّر أو مُخيَّر، والأخلاق، والقضاء والقدر، وغير ذلك من المواضيع الفلسفية.

فإذا كانت بعضُ الأديان حرَّم أتباعُها التفكيرَ الفلسفيَّ والتأملَ والنظرَ العقليَّ، فإنَّ الإسلام هو الدين الوحيدُ الذي دعا إلى النظر والتأمل والبحث العلميِّ... فكان العرب المسلمون أوَّلَ مَن نشر العلمَ والمعرفةَ، وأوّلَ مَن كتب وألّف، حتى كانت الحضارةُ العربية الإسلاميةُ: تلك الحضارةَ التي لم تكن ـ ولن تكون ـ حضارةَ حرب ومادّة، بل كانت حضارةَ عقل، وعلم، وفكر عميق. تلك الحضارةُ التي نشأت في بلاد العربِ المسلمين، ونشرت أجنحتَها إلى أقاصي الصين شرقاً، وإلى أقاصي أوروبا وإفريقية غرباً، ولم تكن حضارةَ السيف والمِدفَع، بل كانت حضارةَ القلم والقِرْطاس والكتاب.

ولا ريب في أنَّ الدراسات في الفلسفة الإسلامية قد كَثُرت، ولا تزال حاجتنا ماسّةً إلى استكمال هذه الدراسات، وإنَّ كتاب: «التفكير الفلسفيِّ الإسلاميِّ» يُضيفُ إلى هذه الدراسات بعضَ التوضيحات عن الفلسفة الإسلامية، وأثرِها في الفكر الأوروبي وفي النهضة الأوروبية؛ باعتراف علماء الغَرب الأوروبيين أنفسِهم.

وقد ذكرتُ في هذا الكتاب الفلسفةَ اليونانيةَ، والفلسفةَ الإسلاميةَ بين الأصالة والتقليد، ثم أشهرَ فلاسفة العرب المسلمين في المشرق والمغرب، في الأبحاث التالية:

1 ـ أثر الفلسفات والثقافات الشرقية في الفكر اليوناني ـ الفكر المصري ـ البابلي ـ الفارسي ـ الهندي.

2 ـ الفكر اليوناني، ومدارسه ـ الفكر اليوناني قبل «سقراط».

3 ـ الفلسفة اليونانية: «سقراط» ـ «أفلاطون» ـ «أرسطو».

4 ـ حركة النقل والترجمة عند العرب المسلمين، وأشهر النَّقَلة والمُترجمين، وأشهر المدارس.

5 ـ الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والتقليد.

6 ـ الفلسفة العربية الإسلامية في المشرق، أشهر الفلاسفة: «الكندي» ـ «الفارابي» ـ «ابن سينا» ـ «الغزالي».

7 ـ الفلسفة العربية الإسلامية في المغرب، أشهر الفلاسفة: «ابن باجَّه» ـ «ابن طفيل» ـ «ابن رشد».

8 ـ خصائص الفلسفة العربية الإسلامية وميزاتها.